المشهد

العدد 308 السنة العاشرة- الخميس من 20-26 يناير 2022 - من 17-23 جمادى الآخرة 1443هـ

قالت العرب

أنا ان سألت أي مضني قالت القامة حبيك عجيب / مثلما السهل حبيبي يندري مثلما القمة يعلو و يغيب / و به من بردة تدفاقه و من الحرمون اشراق و طيب / ويحه ذات تلاقينا على سندس الغوطة و الدنيا غروب / قال لي أشياء لا أعرفها كالعصافير تنائي و تؤوب

فى رواية « رحلة إبراهيم» للأديب محمد هلال :

عبقرية الهوية .. حتمية التنوير .. وجذورنا الفرعونية والعربية!!

قراءة وتحليل:
هدى مكاوى

التمرد

والـثورة والجـدل حـول مسائل فلسفية « كثيرا ما تحدث بها معنا، حول مسألة الـديـن.. هل الانسان مسير أم مخير؟.. هل الأديـان حقيقة أم وهما ابتدعه الانسان لتهدئته واستقراره نفسيا؟.

لم يخطر بذهنى ان تتبلور تلك المناقشات فى صورة عمل أدبى له يرى النور، يبحث بكل جرأة تلك القضية ويتعمق فى بحور الكتب والدراسات بحثا عن اجابات تشفي الصدور. إنه الأديب والكاتب الصحفى محمد هلال فى روايته «رحلة ابراهيم».. فى البداية يصدمك الكاتب، ولكنه ياخذك معه فى رحلة بحثه، أملا فى الوصول إلى إجابات شافية لتساؤلات محيرة عن أصل الوجود، وهل الأقدار هى المتحكمة فينا أم عقولنا؟ وهذا ليس بجديد على محمد هلال، فقد عرفناه قلق الذهن بالسليقة، مهموما بالبحث عن الحقيقة، يرفض الإكليشيهات الجاهزة فتطارده الأفكار ويطاردها، قاص يسرى الأدب فى دمه مهما اعتزته من صعوبات أبعدته عنه قليلا للعمل فى الصحافة كسبا للعيش، حكاء مجيد غزير الإنتاج، فرواية «رحلة إبراهيم» ليست العمل الوحيد للكاتب والقاص. فقد سبق وصدرت له أعمال أدبية كثيرة منها: أرض المراغة ، مابعد موتى ، ماتيسر من سيرة العشق ، عطش الشيطان ، درب البهلوان ، سجن المزرعة. وهاهى دور النشر تتلقف أعماله، فلا يمر عام إلا وظهر إلى النور مولود أدبى جديد يمتع به قراءه.

التمرد والثورة غاية للتجديد!

وفق تعريف علماء النفس لمفهوم التمرد، هو رفض تنفيذ الأوامر، ويختلف مفهوم التمرد عن الثورة فى شرعيته الاجتماعية ومقدار تقبل الناس له وانخراطهم فيه، وتبدأ كل ثورة اجتماعية بعملية تمرد تقوم بها جماعة من الأفراد، ثم تستقطب مجموعات أخرى من النـاس، حتى تعم أغلب الفاعلين الاجتماعيين وتنظم تمردهم. وفقا لهذا التعريف، نجد أن رواية «رحلة إبراهيم» تسود فيها فكرة التمرد والثورة معا على المألوف والسائد فى المجتمع سواء العادات أو التقاليد أو العقيدة وغيرها، فعلى الرغم من أن الرواية جاءت فى عدة أجزاء وبعناوين مختلفة، إلا أنه يربطها خيط واحد وهو التمرد، فجاءت فى صورة تحكي أمثلة عن التمرد، فتارة تمرد وثورة ضد الجهل، كما فى الجزء الأول من الرواية، وتارة أخرى تمرد على أنماط العبادات عند العرب قبل الإسـلام، وقد جعل محمد هلال القدوة فى ذلك سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء، الذى اختاره الكاتب ليكون عنوانا للرواية، والذى رفض ما نشأ عليه آباءه من عبادة الأصنام، وثالثة ضد المناهج التعليمية الأزهرية، والتى لم يتم تطويرها بعد، وهو ماقام به والد النفيس بطل الرواية، الذى توفى صغيرا فى السن وقد نال جزاء مريرا لتمرده بتكفيره ، ونسبة كتاب زائف يحوي أفكارا شاذة إليه لتشويهه بعد رفضه التراجع عن أفكاره التى وصفوها «بالكافرة». ورابعة ضد العادات والتقاليد البالية فى أنماط الـزواج عند العـرب قديما قبل الإسـلام، وهنا يصحبنا محمد هلال فى هـذا الجـزء فى رحلة ممتعة عن أنماط هذا الزواج، مثل زواج الرهط وزواج الاستبضاع، والآلهة عند العرب وتمركز حياتهم حولها. وعن جهل نظرة المصريين للآثار المصرية، وضرب مثالا على ذلك بنظرتهم للحارس أبو الهول والقصص الخرافية التى كان ينسجها خيال المصريين عن الكنز المدفون أسفله، وهنا تظهر شخصية محمد هلال الباحث والصحفى فلا يكتفى بالسرد القصصى فى الـروايـة بل يغذيها بالقراءات والبحث والتحليل. كما يظهر هذا المجهود البحثى لمحمد هلال جليا فى الجزء الخاص بمصر تحت الحكم الرومانى واضطهاد الأقباط قبل دخول الإسلام والعرب إلى مصر، وكيف انصهرت القبائل العربية التى هاجرت الى مصر قبل وبعد دخول الإسلام مصر، فى نسيج المجتمع المصرى.

تتجلى فكرة التمرد فى رواية «رحلة إبراهيم» في إطار حوارات بين الحفيد بطل الرواية يدعى «النفيس» وجده الذي يقنعه بإعادة فتح منزل قديم تملكه العائلة، بعد أن هجره الأهل بسبب شائعات وأقاويل عن كونه مسكونا بالجن والعفاريت، إلا أن الحفيد «النفيس» يصر على رأيه ليكشف لهم أوهامهم، فيحول البيت إلى مزار ثقافى يرتاده الأجانب من كل حدب وصوب، ويكتشف الحفيد أيضا أن البيت يحوي كنوزا تركها له جده من كتب ومخطوطات تخبره عن ما تركه الأجداد من قصص وحكايات عمن سبقونا، وهو ما عبرعنه محمد هـلال فى مقدمة الـروايـة بقـولـه: «من أروع نعم الله على الإنسان أن هداه إلى التدوين واخـتـراع أساليب الكتابة، فدون خكاياته فوق الصخور، ثم عظام الحيوانات وجلودها، ثم بعد ذلك الأوراق وما بعدها من وسائل حديثة. وهكذا جعل السابق يحفظ ذاكرة البشرية للاحق».

أيضا كان لتمرد الشعراء فى مصر على قوالب الشعر القديمة نصيب فى رواية رحلة إبراهيم، حيث جعل لوالد «النفيس» دور كبير فى ذلك، كما جاء على لسان زميل والده فى الأزهر «الشيخ عبدالتواب» الذى آثر السلامة، ولم يسر فى ركب والد «النفيس» وإلا سيلقى نفس مصيره ونسبة آراء خاطئة إليه.. يقول الشيخ عبدالتواب كما ورد فى الرواية «أتعرف أن لوالدك الفضل فى ابتعادى عن الشعر العمودي؟»

الرمز والرمزية فى رواية رحلة ابراهيم

وفقا لمفهوم الرمز فى الأدب، فإنه بمثابة إشارة من الشاعر أو الأديب يتخفى خلفها بعض الأمور التى لا يريد المؤلف أن تصل بشكل مباشر، وانما ببحث وتحـر، وهـو أيضا التعبير غير المباشر عن النواحى النفسية المستترة، وكذلك الرمزية هي التعبير عن الأفكار والعواطف بطريقة غير مباشرة.. وفقا لتلك المفاهيم نجد أن الرمزية تتجلى فى روايـة «رحلة إبـراهيـم»، إذ لـم يكن اختيار الكاتب لإظهار شخصيات الجد والحفيد وإخفاء الأب وموته إلا تعبيرا عن مسار حركة التنوير فى مصر عبر ثلاثة أجيال على مدار نحو مائة عام، والتى مرت بعدة محطات، تلك الحركة التى بدأها الإمام محمد عبده وغيره حين اجتهد فى إباحة النحت والتصوير فى الإسلام وعـدم حرمانية إقامة المتاحف، وفى رأيي عبر عنها الأديب محمد هـلال بجيل الجد، ولكنها توقفت مع صعود التيارات الدينية وذيوع حركة الإخـوان المسلمين وتغلغل الوهـابية، وقـد رمز لمسيرة التنويرالتى تعرقلت قليلا بالأب الذى مات صغير السن، فما أن بدأت حركة التنوير وفتح باب الاجتهاد إلا وقد ووجهت بالحركات السلفية المعتمدة على النقل وإلغـاء العقل وعلو نعرات التكفير وتحريم الموسيقى والنحت، أما مرحلة عـودة حركة التنوير ومحـاولـة تصحيح المسار، فقد رمز لها بمرحلة الحفيد الذى يحاول إحياء مسيرة التنوير من جديد، وهنا يقوم الابن باكمال مسيرة جده وأبيه، فيفتح المنزل القديم وينظفه من أعشاش العنكبوت والأتربة التى تراكمت منذ سنوات بعيدة، فيحول المنزل إلى مزار ثقافى يعلم فنون التصوير والنحت والموسيقى.

امـتـلأت الـروايـة بـالـرمـوزالـتـى تـواءمـت مع فكرة التمرد، فالبيت الكبير الذى ورثه النفيس وعائلته وأعاد فتحه وترتيبه وتنظيفه ماهو إلا وطنه ووطن أجداده مصر ونهضتها الثقافية بعد سنين ظلامية طويلة، عاشتها مصر تحت الحكم العثمانى ساد فيها الجهل والتخلف والفقر وعدم الاعتداد بتراثها الحضارى وآثارها التى ظلت مجهولة إلـى أن بـدأت نهضتها الثقافية، وقد لخص كاتب الرواية ذلك فى سفر بطل الرواية إلـى فرنسا ليـدرس الفنون ويـعـود إلـى وطنه، فينشيء مركزا ثقافيا فتتغير نظرة ذويه لنحت التماثيل وللموسيقى والتى توجت بافتتاح كلية الفنون الجميلة بدرب الجماميز على يد الأمير يوسف كمال، وهنا يشير الكاتب الى دور البعثات العلمية آنذاك فى نقل النهضة الثقافية من الغرب إلى مصر.

هوية مصر على درب الدكتور جمال حمدان!

كما جسد الكاتب محمد هـلال هوية مصر فى الرواية عبر مكونات البيت الذى تركه جده من الـداخـل، والـذى يـحـوى مخطوطات عربية ثمينة وأيقونات مسيحية، فقد جعل البيت فى نزلة السمان التى تحوى كنوزا فرعونية لاتقدر بثمن، ونسب أول بيت بنى بنزلة السمان لجده من أصول عربية وهو الوليد ابن حجر السمان، والتى سميت باسمه منطقة نزلة السمان، وهو من رفض عبادة الأصنام وهرب من مطاردة أهله ليستقر فى مصر وقد افترض له اسما وهميا «الوليد بن حجر» كرمز لكل القبائل العربية التى استوطنت بمصر وانصهرت فى النسيج المصرى. كما وجد ضمن محتويات البيت الذى ورثه النفيس عن جده، أيقونات مسيحية على اعتبار أنهم من نسيج المجتمع، وهنا يشير محمد هلال إلى أنه لا انفصال بين فرعونية مصر وعروبتها، كما ذكر من قبل الدكتور جمال حمدان فى موسوعته «شخصية مصر» فإن مصر فرعونية بالجد ولكنها عربية بالأب، وأن العرب هم من أصل قاعدي واحد مشترك مع العنصر المصرى وأن الموجة العربية لم تزح الأسـاس القبطى إلى جيب الجنوب المغلق فى الصعيد، على حد ذكر الباحث محمد السيد اسماعيل فى موقع اصوات اون لاين، كما ورد فى الرواية ما يشير إلى اعتزاز البطل بانتسابه لأجداده العرب القدامى ما يلى: «فكرة أكثر من رائعة ياجدي.. كم أتمنى لو أعرف له قبرا يزار حتى يكتمل تكريمنا لذكراه، ولكن بيننا وبينه ألف سنة ونصف ألف درست فيها القبور مرات ومرات وتبدلت الخرائط والأحوال وأغلب الظن أوصاهم بتعهد البيت بالـرعـاية.. ولـولا تعهد أحفاده وأحفاد أحفاد أحفاده بترميم البيت الكبير.. لكان كومة من حجارة لانعرف لها سرا، سوى أنها من بقايا قدماء المصريين». كما ورد أيضا خلال الرواية فى حوارات الجد مع الحفيد ما يشير إلى عدم تنحي الأقباط فى مصر جانبا: «كان أجدادك من الأقباط، ولكن بعض أولادهـم اعتنقوا الإسـلام ... وسترى الصلبان وتمائم العذراء وأيقونات القديسين فى جنبات البيت»

خرافات الخواجة ينى!

لم ينس القاص محمد هلال العنصر اليهودى فى رواية «رحلة إبراهيم» إلا آنه رفض محاولة نسبة أي أصول يهودية للمصريين. وهو ما نجده من تحذير الجد للحفيد «النفيس» من محاولات اليهود نسبة أصول المصريين إليهم، والذى رمز محمد هلال له «بالخواجة ينى» وما يردده من أكاذيب حول احتواء المنـزل على تـراث يهودى ممثل فى تماثيل وشمعدان وغيره. وهو ما ذكره الدكتور جمال حمدان فى كتابه «شخصية مصر» أن المصريين القدماء شعب أصيل وأن اليهود طردوا تماما من مصر ومعهم الهكسوس، وبالتالى فلا وجود لهم فى الهوية المصرية من قريب أو بعيد.

مناقشات فلسفية حول الدين!!

بـالـرغـم مـن الآراء المحـيـرة لمحمد هـلال فى مسألة الدين أحيانا، كحديثه عن الشيطان الذى لم يشرك بالله رغم عصيانه له، إلا أنها لا تخرج عن إطار فلسفي، تتم عن إيمان عميق برب الكون خالق كل شيء، غايته الوصول إلى الحقيقة وهى ربوبية الخـالـق عـز وجـل والـوصـول إلـى إسلام صاف من الشوائب التى اعترته على مر السنين والتى امتلات بها كتب التراث، إسلام يخاطب العقل لا يقوم بإلغائه، ولعل بطل الرواية يعبر عن مئات المفكرين الذين انتقدوا بل رفضوا التعليم الأزهـرى آنـذاك، ومنهم عميد الأدب العربى طه حسين ومصطفى لطفى المنفلوطى وغيرهم كثيرون ممن تمردوا على الدراسة فى الأزهرعلى حالته فى ذلك الوقت. يقول الكاتب فى روايته، على لسان والد بطل الرواية «النفيس»: إذا توقف الفكر قامت القيامة.. فناء الدنيا قى توقفها عن الجديد، فلا تتوقفوا فتيبسوا وتموتوا.. ماذا لو عاش الواحد منا ألف عام يأكل ويشرب وينام وينجب ثم يرحل ولم يضف فعلا للناس؟» كما ورد فى الرواية على لسان البطل: «حفظى للقرآن الكريم ياجدي الطيب عصمنى من أخطاء كثيرة.. عرفت قيمة حفظى للقرآن الكريم فكان يدفعنى لمزيد من المعرفة ولا يجعل الشهوة مبلغ همى ...»

نزلة السمان رمز لعراقة المكان

لم ينس الكاتب الاعتداد بعنصري المكان والزمان، فالمكان منطقة أثرية خدمت الرواية وهى نزلة السمان وما تحويه من آثار كانت عرضة للنهب من تجار الآثار الذين لا ينظرون إليها إلا مصدرا للمال، والحلم بوجود كنوز منذ زمن بعيد أسفلها بعيدا عن كونها كنوزا لا تقدر بثمن، فهى تحوي تاريخ الأجداد الذين دونوا على جدرانها ليخبرونا بتفاصيل حياتهم وقصصهم، وعلى الرغم من آن أحداث الرواية وما حوته من قصص متعددة انتقلت إلى أماكن أخـرى، إلا أنـها تعلقت جميعها بمصر بلد الكاتب، ولعل اختيار الكاتب لمنطقة الأهرامات ونزلة السمان لم يأت أيضا كشيء عفوي، فهو يشير إلى عظمه وطنه وحضارته العريقة، والـتـى لا تستحق أن يعشش فيهـا الجهل والتخلف والاستهتار بالتراث والحضارة. ورد فـى الـروايـة: «قبـالـة وجـه أبـى الـهـول حارس الأهـرامـات، تقبع قرية لايجوز لغيرها أن تباهى الكون بهذا التميز، اسمها نزلة السمان «أكسبها هذا الاسم أشهر من وفدوا إلى المكان هذا الولى الراقد فى ضريحه المتواضع بزاوية مسجده الكبير وساحته الواسعة التى يعمرها دراويـش الصـوفـيـة أسبـوعـا كـامـلا بمناسبة مولده، إنه «الشيخ السمان»

سيدنا إبراهيم أكبر المتمردين عبر الزمان

أما الزمان، فقد اختار الكاتب أزمنة قديمة قبل دخول الإسلام إلى مصر وبعده حتى منتصف القرن العشرين، رصد فيها فكرة التمرد على السائد والمألوف إلى أن وصلت مصر إلى مرحلة حديثة، اختارالكاتب زمن سيدنا إبراهيم وفترة الجاهلية قبل الإسـلام، كما اختار فترة الحكم العثمانى لمصر وبداية نهضة مصر الثقافية والعلمية، عبر البعثات العلمية إلى أوروبا، وفى تحليلي لأهمية المكان والأحداث التى دارت فى الرواية فجميعها فى وطنه، حتى وإن انتقل إلى أي مكان آخر، فهو يؤول فى النهاية إلى غايته مصر والتى خصها عبر آزمنة مختلفة ليصل إلى تحديد كينونتها وهويتها ومستقبلها الثقافى والعلمي، معتزا بتراث أجداده الفراعنة الذين برعوا فى فن النحت، وعروبته التى استمدها من أجداده العرب الذين استقروا بمصر، إذ يختم محمد هلال الرواية بضرورة عمل أربعة تماثيل لأجداده العرب، وتعهده بإكمال مسيرتهم فى إعـادة ترميم البيت الكبير «وإلا كـان كومة من حجارة لاتعرف لها سرا سوى أنها من بقايا المصريين القدماء».

وأخـيـرا، لا يمكنني أن أخـتـم روايـة «رحلة إبراهيم» دون أن أشهد أنها وجبة دسمة ممتعة للقارئ تستحق الإبحار فيها بلا ملل، وقراءتها بعناية لفك رموزها وطلاسمها، فكل كلمة لها دلالتها عند الكاتب، وكل شخصية قام بتوظيفها بعناية لتعبر عن مكنونه وغايته فى وصف هوية وطنه مصر وتاريخها الطويل منذ الأزل.

لقاء «هيكل» و«الهضيبي» منذ 68 عاما:

أساليب دعاية الإخوان لتبييض صفحة إرهابييها.. حسام منوفي مثالا!

الطريقة الغربية التى روجت بها لجان جماعة الإخوان على مواقع السوشيال ميديا لخبر القبض على المتهم "حسام منوفي" فى مطار الأقصر تسترعى الانتباه ولها العديد من الدلالات المهمة. الدلالة الأولـى: هى استمرار النهج الإعلامى النازى للجماعة على ما استقرت عليه منذ تأسيسها. وقد تأسست على يد مرشدها الأول "حسن البنا" فى أواخر عشرينات القرن الماضى تأثرا بأجواء صعود وانتشار الحركات النازية والفاشية فى أوروبا. المبدأ أو اللامبدئية المعروفة فى الدعاية والإعلام النازيّين هو "اكذب حتى يصدقك الناس". هذا الكذب تخفى فى تقديم "المنوفي" كما لو كان "معارضا مصريا" لا إرهابيا إخوانيا!. ثم محاولة الإيهام بأن القبض عليه لم يكن لسبب آخر سوى أنه معارض، مع التغافل - أو الاستغفال - أمام قائمة مطولة من جرائمه المتهم فيها، والقضايا المطلوب تقديمه فيها للمحاكمة، والعمليات التى تطارده دماء ضحاياها، ومن بينهم اللواء "عادل رجائي" قائد الفرقة ٩ مدرعات، والرائد "محمود عبدالحميد صادق" رئيس مباحث مركز طامية بالفيوم، والملازم "أحمد عز الدين" بقسم شرطة العمرانية، وأخيرا التورط فى محاولة اغتيال فاشلة للنائب العام المساعد المستشار "زكريا عبدالعزيز". كل تلك العمليات التى قامت بها وأعلنت مسئوليتها عنها "حركة حسم" الإخوانية، و"المنوفي" متهم بأنه أحد مؤسسى هذا الجناح المسلح من أجنحة الجماعة بكل ما ارتكب به من عمليات تفجير واغتيال منذ فض اعتصام رابعة الإرهابي.

الدلالة الثانية هى التناقض المفضوح تقليديا للكذب الإخواني. ففى حين تصف اللجان الألكترونية وإعلام الجماعة الإرهابى بأنه معارض، محض معارض!، تزعم أن القبض عليه فى مطار الأقصر لم يكن محض مصادفة، مصادفة قذفت بها الأقدار بالمتهم ليلقى جزاء يستحقه عبر محاكمة. بدلا من ذلك يزعمون أن القبض عليه جرى بعملية دبرتها المخابرات السرية. وهذه "المعلومات السرية" نمت لعلم الجماعة بطريق يجهله الجميع، لا أظن أنه العلم اللدنى مثلا!، رغم ذلك يردد إعلام ولجان الجماعة بيقين قاطع أن الطائرة التى استقلها كادر حسم الإرهابية فى طريقه من السودان إلى تركيا، لم تجبر على الهبوط اضطراريا فى مطار الأقصر بسبب إنذار حريق بداخل الطائرة، وإنما عبر اتفاق بين المخابرات المصرية وشركة الطيران السودانية الخاصة "بدر" المسئولة عن الرحلة الجوية. وأيا كانت مصداقية معلومات الجماعة اللدنيّة تلك فإن ما يترتب على تصديق وجود دور لأجهزة الأمن المصرية فى القبض على الإخوانى الهارب - بالمنطق السوى - هو أنه إرهابى تم اصطياده بعملية أمنية أو مخابراتية نظيفة، إذ ليس فى وسع عقل - مهما بلغ به العبث مداه - أن يتخيل أن أجهزة أمن تصدت بنجاح ومهارة واحترافية عبر السنوات الماضية لموجة كاسحة ذات تخطيط عال وتمويل مفتوح، وبمشاركة عناصر الجماعة داخل وخارج مصر على نطاق واسع، لا يمكن تخيل أنها أجهزة أمن تتسلى بمطاردة واصطياد معارض بلا شأن، هذا لو تصورنا أن كادر الجماعة الإرهابية "المنوفي" هو معارض بالفعل. ولو كانت أجهزة الأمن المصرية كما تصورها دعايات الجماعة المتناقضة على هذا النحو الهزيل، ما وصلنا فى مصر إلى هذا النجاح فى مواجهة أذرع الجماعة الإرهـابـيـة وتنظيمها الـدولـي، وهـو نجـاح تجسد خـلال العام المنصرم ٢٠٢١ فى إلغاء حالة الطوارئ لأول مرة منذ رحيل نظام الجماعة بثورة فى ٢٠١٣.

الدلالة الثالثة المهمة للمعالجة الدعائية الإخوانية النازية لخبر القبض على عنصر حسم "حسام المنوفي"، هى أن الجماعة لن تتنازل أبدا لا عن أساليب إرهابها وعنفها الدموى المروع، ولا عن أساليب كذبها وقبحها الدعائى المشوه. هذا الاسلوب المقزز فى انتهاج أساليب عنف دموية من جهة، وانتهاج أساليب تنكر لها من جهة أخرى، كان دائما الاستراتيجية الثابتة للجماعة فى ممارساتها التخريبية. أسلوب اتبعته منذ الاربعينيات عندما تبرأ مؤسسها "حسن البنا" من موجة الاغتيال والتفجير الواسعة التى قام بها أعضاء "التنظيم الخاص" التابع للمرشد شخصيا، ووصفه لمن قاموا باغتيال رئيس وزراء مصر آنـذاك "محمود فهمى النقراشي" - سنة ١٩٤٨ - بأنهم "ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين". ثم اتبع نفس الأسلوب المرشد الثانى للجماعة "حسن الهضيبي" فى أعقاب محاولة عناصر نفس "التنظيم الخاص" التابع للجماعة اغتيال الرئيس "جمال عبدالناصر" سنة ١٩٥٤. ثم اتبع نفس الأسلوب للمرة الثالثة بعد انكشاف مخطط تنظيم الجماعة القطبى سنة ١٩٦٥، نسبة للمفكر "سيد قطب" الذى لا تـزال الجماعة تطلق عليه وعلى مؤسسها الإرهابى "حسن البنا" لقب الشهيد أيضا، خطط التنظيم القطبى لموجة أخرى من الاغتيالات والتفجيرات أضيف إليها إغراق دلتا مصر بأكملها فى عملية تفجير القناطر الخيرية حسبما خطط لها.

أود هنا التوقف لتأمل طبيعة "الأسلوب التقليدي" لجماعة الإخوان فى التحلل من إرهابها، وفى تبييض صفحة إرهابييها، وهى طبيعة ربما تستحق التحليل على طريقة علم نفس الجريمة، وقد تستحق بعض عناصر الجماعة من أجلها أن ينزلوا سجناء على المصحات النفسية والمشافى الذهانية، هذا فيما لو صدقنا أن عناصر الجماعة أنفسهم يصدقون أنفسهم فى كذبهم المكشوف!. وأعود فى هذه الوقفة - وبدون تعليق منى - إلى مقال كتبه الأستاذ "محمد حسنين هيكل" سنة ١٩٥٤، تناول فيه تفاصيل لقاء أجراه مع مرشد الجماعة "حسن الهضيبي" فى أعقاب محاولة اغتيال الرئيس "جمال عبدالناصر" فى ميدان المنشية بثمانى رصاصات. فى هذا الوقت - نوفمبر ١٩٥٤ - زار هيكل المرشد الهضيبى فى سجنه، ودار هذا الجانب المذهل من الحوار بينهما:

● هيكل: هل يبيح القرآن القتل والإرهاب؟

- الهضيبي: لا

● هيكل: وهذه الرصاصات الثمانى التى سمعتها بأذنيك فى ميكروفون السجن؟

- الهضيبي: يُسأل عنها الذى أطلقها

● هيكل: وهل أطلقها من نفسه هكذا بدون تحريض؟

- الهضيبي: ومن أين لى أن أعلم أن هناك من حرض؟

● هيكل: ألم يكن النظام السرى تابعا لك مباشرة؟

- الهضيبي: أنـا كنت مرشـدا عـامـا أبحث رؤوس المسائل وأقررها ولا أدخل فى التفصيلات، شأن النظام السرى كنت أعلم أنه موجود ولكن بالنسبة لى كان رأس مسألة (!!) أما التفاصيل فكان يشرف عليها اثنان خميس وفرغلي.

● هيكل: إذن أحدد سؤالي: هل ترى أن الإسلام يبيح إنشاء منظمة سرية مسلحة للإرهاب؟ وهل السياسة فى هذا البلد والحريات التى نتطلع إليها يمكن أن تسمح بقيام منظمات سرية مسلحة؟

- الهضيبي: من قال هذا؟!

● هيكل: أنت قلت الآن.. لقد قلت إنك تعرف أن هناك نظاما سريا، ولكن الذى نفيته أنك أنت الذى كنت تصدر الأوامر، ولقد قلت لى أنك كنت تعرفه كرأس مسألة ولكنك لم تعرف الظروف التى يعمل فيها، ألم يكن محققا أن أفهم من كلامك هذا؟!.

كان محققا بالطبع أن يصل "هيكل" من كلام مرشد الجماعة الإرهابية لهذا الفهم المنطقي، ولايزال محققا حتى اليوم أن يصل المنطق المستقيم للفهم نفسه، لكن المنطق المشوّه الحاكم فـى تـعـامـل الجماعة مـع جـرائـم عناصرها الإرهابية، هو محاولة تـبـيـيـض صفحتهم وصفحتها بكل الحيل غـيـر المنـطـقـيـة، وعلى قاعدة اللامبدأ النازي: "اكذب حتى يصدقك الناس".

عصام الزهيري